رسائل إلى شهيد

امينة قطب

هذه الرسائل كلّها إليك... كتبتُها بعد تلك الليلة بعد أنْ غادرتَ بيتنا ولم تعد...

إنّها أول رسائل لن تراها، ولن تقرأها، ولن تبعث بعدها بردّ... ولكنّي كتبتها إليك رغم هذا اليقين: فما كنتُ أملك حبس الدموع وأنت ترحل عني بلا عودة... إنّها إليك في الدار التي سعيتَ لها وأدركتَها في نهاية المطاف.. إنّها تهنئة، أبعث بها إليك حتى ألقاك، بعد المسير العاني ووعورة الطريق..

إنّها وفاء وعهد على السير، مع القافلة التي ما انقطع سيرها على مرّ الزمان، إلى ذلك المرتقى البعيد.. إنّها إليك وإلى السائرين على الدرب، رغم أشواك الطريق، فإذا كانت الدموع تملؤها فمعذرة، فقد تركتني وحدي أكمل بقية المسير.. إنّها دموع الفراق حتى ألقاك عند ذلك المرتقى - بإذن الله - مع قوافل الواصلين..

شريكة الحياة: أمينة قطب

بهذا الإهداء افتتحت السيدة: أمينة قطب رسائلها وأشعارها. نقلناه إليكم بنصه، مشبعا بالعاطفة الجيّاشة والحرقة الدامية والعهد الصادق من زوجة صابرة إلى زوج شهيد

أمّا الشهيد المعنيّ بهذه الرسائل فإنّه: الشهيد (كمال السنانيري) الذي يقول عنه الدكتور (عبدالله عزّام): (كمال الدين السنانيري إنسان ليس من أصحاب الأقلام ولا من أرباب المنابر. رجل صنعته الأحداث بإذن خالقه ونضج على نار المحنة من خلف قضبان السجون وكان قد حُكِم عليه بالأشغال الشاقّة المؤبدة: من ١٩٥٤... جاء الى بيشاور ومكث أربعين يوما يعمل ليلَ نهارَ لجمع كلمة المجاهدين... أخبرني أنّه عائد إلى مصر ليرتّب أموره ويعود.. ولكنّ يد المنون كانت بانتظاره

ولعل سبب قتله أنّه كان يفسد على طواغيت مصر مخطّطاتهم الأمريكيّة التي تريد شراء الجهاد الأفغانيّ وتحتويه لحساب أمريكا فأجهزوا عليه في غياهب السجون...).

وتنتقل كاتبتنا بأحاسيسها ومشاعرها حول ذكريات في حياة الشهيد ووصف ليلة الإعتقال وعواطفها بعد مرور عام على استشهاده - رحمه الله - وتحاول أن تُجري محاورة مع نفسها ومناجاة مع ليلة القدر كما تُجري مصابرة مع أخت الشهيد. ولها بعض القصائد ذات مواضيع إسلاميّة عامّة لاتخصّ الشهيد وحده، مثل: انشودة الشهداء والنصر المزعوم، وحمير اليهود...

ومن خلال تملّي هذه القصائد والتدبر بالأوتار التي تعزف عليها ذلك اللحن الحزين نجد أنّها تتراوح بين معانٍ أربعة أساسيّة: صور من حياة الشهيد، وبعض صور القهر، ووصف عناء الفراق، وتعزية النفس. فلنعش مع هذه المعاني مقتبسين بعض الأبيات التي تصوّر كلاً من هذه المعاني.

صور من حياة الشهيد: أول ما

****

تفخر به شاعرتنا ماتميّز به زوجها الشهيد من جرأة في الحقّ وثبات على المبدأ واعتزاز بالإيمان. ومن ذلك قولها: -

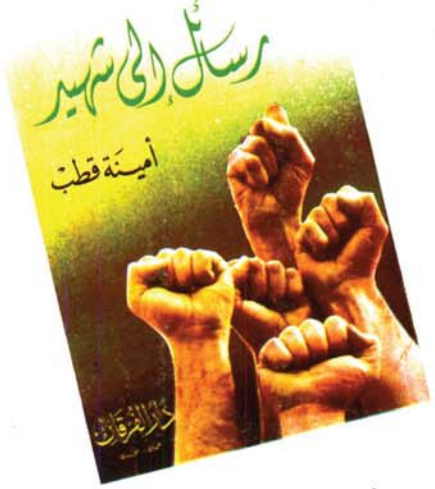

مارستَ مِن أجل الوصول عبادة
فيها عجائب طاقة الإنسان
كانت جهادا في الطريق لدعوة
هي للأنام هدى وخير أمان
قسّمتَ وقتك عاملا أوعائما
أو في صلاة عند كلّ أذان
حتى دعا داعي الجهاد فلم يكن
لك في حديث الحقّ ضعف لسان
فمضيتَ نجما ساطعا لم يملكوا
إطفاء نور القلب والايمان

كما تصف عزّته حتى في لحظة خروجه من السجن بعد سنين طويلة قضاها فيه فتقول:-

كيف أنسى خروجه بعد سجن
رافع الرأس ثابت الإيمان
يوم فكّ القيود بعد زمان
بعد قهر لفاجر خوّان
وتحت التعذيب لم يلن ولم يخنع بل تعالى بإيمانه ويقينه ،وتصف ذلك بقولها :-
ساوموا الإيمان في عليائه
فتسامى فوق آلام السجين
هكذا فزتَ ولم تبغ سوى
جنّة الخلد جزاءً للأمين

إنّ إيمانها بلقاء الله وبإقامة القسطاس المستقيم كان من أكبر وسائل محو الهمّ وإزالة الكرب :-

فلسوف ألقاكم هناك وتختفي دار الشقاء
وسنحتمي بالخلد لانخشى فراقا أو فناء

كما تعبّر عن طمعها في أن تحشر مع زوجها وأخيها المرحوم الشهيد (سيد قطب) فتقول:-

فهناك ألقاكم وألقى سيّدا
بين الجنان وبين سحر عيون
وهناك يرتاح المسير وينمحي
تعب الحياة ويستقرّ سفيني

وقد كانت تعزّي نفسها بأنّ زوجها لم يمت ميتة مخزية بل كان ذلك فخرا لها والحياة قصيرة واللقاء قريب:-

أتعزّى بالذكر أنّ (كمالا)
قدشرى بالحياة مجدًا الريني
لم يمت ميتة الضعيف فيمسي
كلّ ذكر لموته يخزيني
وعزائي أنّ الحياة ستمضي
وسألقاه في غد بعد حين

هذه الدماء المنثورة على طريق الجهاد تعزّي الأحياء بأنّها تحمل في ثناياها استنهاض همم الأحياء للانخراط في طريق الجهاد :-

إنّه يمضي على شوك اللظى
علّه يفضي الى الله شهيدا
فدم الجند على الساحة يبقى
دائما ينبت للحقّ جنودا
ولقد طال مع الليل مسيرى
وبدا الضوء مع الفجر بعيدا

هذه المحن من طبيعة طريق الدعوة وعزاء زوجة الشهيد وعزاؤنا في الخاتمة :-

لم تروّعنا دماء أو ضحايا
أو ثنتنا ضربات من عداة
فيقين القلب والأرواح أنّا
حين نمضي سوف نمضي للحياة